

القيم الجمالية لفن الزخرفة الإسلامية بالجامع الأعظم في الجزائر

The Artistic Aspects of the Islamic ornamentation of the Grand Mosque in Algeria

مراح مراد

¹ جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس mourad.merah@univ-sba.dz

معلومات المقال	المخلص: (لا يتجاوز 10 اسطر)
تاريخ الارسال: 2024/08./ 17 تاريخ القبول: 2024/12./09 تاريخ النشر: 2024/12/19	لعب الفن الإسلامي عبر تاريخ الأمة الجزائرية دورا بارزا في ترسيخ هوية الشعب وانتمائه الحضاري الاسلامي. الزخرفة الاسلامية كاحدى فروع هذا الفن تهدف اساسا الى تنوير العقول واضفاء بعد جمالي وذوق راقي متميز على العمران الاسلامي ومن بينها الجوامع. ولأجل المساهمة الفعالة وتقديم نموذج اضافي للموروث الثقافي الانساني قمت بدراسة زخرفة الجامع الأعظم بالجزائر باعتباره معلم معماري إسلامي غاية في الجمال والابداع من خلال تحليل ودراسة ابرز الزخارف التي زين بها المسجد مع التركيز على المحراب، المنبر، القبة والمئذنة. توصلت في هاته الدراسة الى ان السمة التي تميز الجامع الاعظم هو الاستعمال الكثيف للزخرفة الاسلامية وبشكل فريد من حيث الانماط، والاشكال والاحجام وهي تجمع بين الاصاله والمعاصرة. ويخلص البحث الى: أولا أن ميزتي الجمال والذوق الراقيتين اللتين ميزتا العمران الاسلامي على مر العصور والتقاليد كانتا حاضرتان وبقوة في الهندسة المعمارية للجامع الأعظم وثانيا أردت التعريف بهذا المعلم لعله يجد ما يستحقه من اهتمام ودراسة وعناية من طرف الباحثين والمتخصصين في مجال العمران، الفن والثقافة.
الكلمات المفتاحية:	Abstract : (not more than 10 Lines)
✓ البعد الجمالي ✓ فن الزخرفة ✓ الزخرفة الإسلامية ✓ العمارة الإسلامية ✓ الجامع الأعظم	Islamic art has played an important role throughout the history of the Algerian nation across many generations to consolidate peoples' identity as well as to strengthen their attachment to the Islamic civilization. Islamic ornamentation is one of the branches of the Islamic art aimed primarily at enlightening peoples' minds and instilling in their spirit the admiration of the beauty inherent to Islamic architectural monuments, such as mosques. To convey the universality message and to contribute to the human cultural heritage, the main objective of this study is to highlight the unique Islamic artistic features that distinguished the ornamentation of the Grand Mosque, making it a masterpiece of Islamic architecture of exceptional beauty and cultural value. My approach of analysis has led to the realization that the heavy use of Islamic ornamentation to decorate the Grand Mosque encompasses multiple manners, forms, and shapes. I concluded that there are two features inherent to Islamic art; the beauty and finest architectural characteristics are strikingly present in the Grand Mosque's architectural message and were very apparent and appealing to a wide range of audiences passionate of art and culture
Article info	Keywords:
Received 2024/08/17 Accepted 2024/12/09	✓ The aesthetic features ✓ Art of decoration ✓ the Islamic art decoration ✓ Islamic architecture ✓ the Great Mosque in Algeria

1. مقدمة :

يعتبر المورث المعماري من أهم المقومات الأساسية التي تعبر عن أصالة حضارة معينة، و يعد هذا المورث المؤشر الحضاري لما وصلت أمة معينة ليكون شاهداً على مدى تطورها، فغالبا ما تكون هذه المباني المعمارية الموروثة تعبر عن الوضع الاقتصادي أو الاجتماعي لتلك الأمة، ففي البداية لوحظ أن اهتمام الإنسان كان في المسكن و إيجاد مأوى له و ملجأ لا أكثر، ولكنه فيما بعد عملية الاستقرار عبر التاريخ أصبح يهتم بالنواحي الجمالية للمسكن، ويزخرف الجدران بأشكال زخرفية متنوعة، وقد اختلفت وتطورت هذه الزخارف من حضارة إلى أخرى ومن مبنى لآخر حيث يلاحظ اختلاف زخارف المساجد عن زخارف القصور و الحمامات و غيرها.

أصبح استعمال الزخارف في تزيين المساجد من أساسية التكوين الجمالي في الدول الإسلامية عامة و بالخصوص الجزائر، بحيث تجلت الزخارف الجزائرية الأندلسية في أكبر جامع قاريا، المسجد الأعظم بعاصمة الجزائر، و الذي يعتبر مشروع معماري إسلامي بارز على غرار كونه صرح كبير فقد احتوى على كم هائل من الزخارف الإسلامية التي تجلت في مختلف مرافق الجامع بحيث يكاد يندمج خلو الزخرفة من المسجد، فقد برز جمال الفن الإسلامي في الجامع بداية من تصميمه البنائي وصولا إلى أدق التفاصيل الزخرفية .

وباعتبار جامع الجزائر حديث النشأة لم يلقى الشهرة اللازمة، ولم تدون دراسات أو معلومات كافية عنه من طرف الباحثين و الدارسين للزخارف الإسلامية ، باعتباره معلم جديد الولادة و معقد التفاصيل.

الزخارف الإسلامية في جامع الجزائر الأعظم عبارة عن تحفة فنية رائعة، أدخلت عليها لمسات جزائرية أندلسية أضافت عليه زينة كونها تستهدف الجمال بحد ذاتها، وبهذا احتلت الزخرفة مكانة بارزة في الجامع الأعظم ، ودفعته إلى الارتقاء بقيم فنية إبداعية و رقية، مما يطرح سؤالا جوهريا يدور مضمونه حول ماهية الزخرفة و ما هو الدور الذي أدته في جامع الجزائر؟ ما هي مواصفات هذه الزخرفة و ما وظيفتها الجمالية؟

أما فرضيات البحث جاءت كالآتي:

- 1/ أن الزخرفة عمل فني تحدد رقي المجتمع و تحقق قيمة جمالية ذو قيمة إبداعية.
 - 2/ حرم الإسلام التصوير و التجسيد في صدر الإسلام مما دفع الفنان المسلم إلى استلهام أشياء من الطبيعة بعيدة عن التحريم فاتجه إلى الأشكال الهندسية و النباتية بأنواعها و غيرها ووظفها في الزخرفة.
 - 3/ برزت الزخارف الإسلامية في مجال العمران بصفة عامة و تجلت في المساجد بصفة خاصة
- والهدف من البحث، هو التعرف و الإطلاع على الزخرفة الإسلامية وما أعطت من قيمة جمالية و فنية و زينة في فن العمران (جامع الجزائر الأعظم).

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا للإجابة على هذه التساؤلات على المنهج الوصفي في عرض مختلف الزخارف، و المنهج التحليلي لتحليل الأشكال الزخرفية من عناصر هندسية و نباتية، وكتابية لجامع الجزائر الأعظم، و المنهج السيميولوجي و ما يوجد من زخارف بشتى أشكالها و أنواعها للكشف عن القيمة الفنية و الجمالية لهذه الزخارف وأهميتها و الدور الذي أدته في تزيين الجامع بدراسة الأعمال المنتقاة من الفن الإسلامي و التعرف على الوحدات الزخرفية المستخدمة في زخرفة جامع الجزائر.

2. القيم الجمالية:

يعرف اللقاني القيم بأنها "محصلة تفاعل الإنسان بإمكاناته الشخصية مع متغيرات اجتماعية وثقافية معينة، وأنها محدد أساسي من المحددات الثقافية للمجتمع ." (زاهر، 1984، صفحة 212)

ويعرف أبو ريان القيم بأنها " مثل فوق الحس و العالم الحسي، وهي مصدر الالتزام الفني أو الجمالي و الالتزام الخلق، في إطار مبعث القيم الحق و الخير و الجمال. كما يعرفها أيضا بأنها تتحدد وفقا لثلاثة عناصر مترابطة هي الفنان، و العمل الفني، والمتذوق للعمل الفني." (علي أ.، 1974، صفحة 8)

ويذكر سالم القيم الجمالية بأنها "أساليب و قواعد تحدد الغايات أو الوسائل التي يتعين على الفنان أو المدرسة الفنية أن تلتزم بها فهي كموجة للتعبير الفني ." (نظمي، 1969، صفحة 41)

ومنه فالقيم الجمالية هي جملة من المعايير التي تتضمن صفات و خصائص العمل الفني وقواعد وأساليب تشكيلية كالإيقاع و الخط و الاتزان..الخ و ترتبط بمفاهيم التذوق الفني، و التي يمكن في ضوءها أن يصدر الناقد حكمه على قيمة هذا العمل.

3. الزخرفة لغة :

الزينة و كمال حسن الشيء و الزخرف التزين و الزخارف ما زين من السفن و الزخرفة زينة النبات مثل قوله تعالى: "حتى إذا أخذت الأرض زخرفها" قيل زينتها بالنبات وقيل كمالها. (السعدي، 1991، صفحة 422)

1.3. الزخرفة اصطلاحا :

هي فن تزيين الأشياء بالنقش أو التطريز أو التطعيم و غير ذلك، وهي كل رسم يعمل على مسطح بقصد ملء الفراغ بهيئات جميلة متناسقة تستريح إليها العين، و الزخرفة تكون خطوطا أو هياكل هندسية أو نباتية أو حيوانية وجمالها يعتمد أولا و آخرا على ذوق صانعها ودرجة سيطرته على المادة التي يزخرفها أو يزخرف بها. (مونس، 1978، صفحة 131)

و قد اتجه الفنان المسلم لهذا الفن لأنه وجد فيه بغيته من حيث البعد عن دائرة الخط في الشريعة الإسلامية، لأن الإبداع الفني ليس براعة في تصوير المناظر و المشاهدة بالمحاكاة القائمة على الدقة و المقدرة على إيجاد الصلة بين العين و الأشياء فحسب، بل الإبداع الفني الحقيقي الذي يصل حد الروعة الجمالية. وقد عرف المسلمون بهذا الفن حتى قيل أن الفن الإسلامي فن زخرفي، ذلك أنه لا يكاد يخلو أثر الفن الإسلامي من زخرفة أو نقش مهما كان شأنه بدءا بالخاتم الذي تحلى بها اليد و انتهاء بالبناء الضخم الواسع الذي يجمع الآلاف من الناس. (خلف، 2009، صفحة 184)

و تمتاز الزخارف الإسلامية بجوانب تكمن في العلاقة القائمة بين الوحدات الزخرفية المتكررة و المتنوعة في تكاملها الهندسي و اتساقها الفني .

و الزخرفة هي علم من علوم الفنون التي تبحث في فلسفة التجريد و النسب و التناسب و التكوين و الفراغ و الكتلة و اللون و الخط ، و هي إما وحدات هندسية أو وحدات طبيعية تحولت إلى أشكال تجريدية وتركت المجال لخيال الفنان و إحساسه وإبداعه .

و تعرف الزخرفة بأنها كمال الشيء وحسنه وكما وردت في معجم لسان العرب فإنها تعني زينة الشيء باستعمال الأشكال الهندسية و النباتية و دون إدخال صور الكائنات الحية عليها، أما معناها إضفاء الجماليات على الأشياء. و لفظ الفنون الزخرفية يطلق على كل ما يزين العماثر القائمة أو يجل التحف المنقولة من خزف و خشب و زجاج و من عاج و معادن... الخ (الشحات، 2014، صفحة 107)

و جاءت الزخرفة في لسان العرب لابن منظور بمعنى: الزينة، وزخرف البيت زخرفة: زينه و أكمله. و كل ما زوق و زين فقد زخرف. (منظور، 1119م، صفحة 1821)

و عرف الكاتب عاصم محمد رزق الزخرفة بقوله: زخرف الشيء (بفتح الزاي و سكون الخاء): زينة ونقمة، وزخرف القول: حسنه بالكذب و الزخرف (بتشديد الزاي و ضمها) جمع "زخارف" الذهب، و تمام الحسن، وكل مموه مزور، و الزخرف من الأرض: ألوان نباتها، و من الكلام: المرقش بالكذب، و من الحشرات: جنس من نصفيات الأجنحة تعلو فوق الماء، و من البيت: متاعه، و الزخرفة: فن تزيين الأشياء بالنقش أو التطريز أو التطعيم و نحو ذلك. (رزق، 2000، صفحة 130)

و الزخرفة: الذهب، و يطلق على كل ما هو مموه أو مزور . و هي كذلك: التزيين و التحسين. و الزخرف: الذهب و الزينة و كمال حسن الشيء. (صقر، 2003، صفحة 25)

4. مصمم زخارف المسجد الأعظم:

الأستاذ عبد المالك موساوي، من مواليد 3 ديسمبر 1952، خريج جامعة لورين (Lorraine) الفرنسية تخصص تراث و علم الآثار ، خبير في الزخرفة الإسلامية ، درس قواعد الزخرفة و قوانينها و قواعد صنع الجمال التي ترافقها و جميع الفنون التقليدية و التحكم في الألوان و المواد وطرق الإنجاز.

من الأعمال التي قام بها الأستاذ عبد المالك موساوي في مجال الفن الزخرفي، زخرفة 26 مسجد بالجزائر بحيث كان آخر أعماله في تصميم زخارف المسجد الأعظم بالجزائر الذي يعد ثالث أكبر مسجد في العالم و الأول قاريا. و من تصميماته الهندسية أيضا عمل 4 إقامات دولة عبارة عن قصور، و رمم معلمين تاريخيين (المسجد الكبير بتلمسان، ومنارة مسجد المنصورة)، بالإضافة إلى 11 نزل، ومطارين دوليين، و قام بإنجاز زخرفة مداخل الأنفاق الموجودة على الطريق السيار التي تجمع بين سيدي موسى والمدينة و المتمثلة في ثمانية أنفاق، و العديد من الأعمال الخاصة والعامه (موساوي، ريبورتاج "مصمم زخارف المسجد الأعظم الجزائر"، 2020).
وقد شارك عبد المالك موساوي في 37 ملتقى وطني و دولي كأستاذ محاضر، بالإضافة لتكوينه 53 مهندسا معماريا في الزخرفة الإسلامية.

قدم عبد المالك موساوي 10 مؤلفات في الزخرفة الإسلامية صادرة بعدة لغات من بينها كتاب فن الزخرفة في العمارة الإسلامية بتلمسان، و الذي قدم فيه زخارف أشهر المدارس و المساجد الموجودة في ولاية تلمسان. وقام بعدة بحوث في مجال الزخرفة الإسلامية، ناهيك عن جمعه لما يقارب 8 آلاف زخرفة، كما أحصى المهندس سنة 2004 ما مجموعه 1187 تطابق زخرفي تقني.

ومن أضخم الأعمال التي قدمها المصمم عبد المالك موساوي، التصاميم الزخرفية للمسجد الأعظم بالجزائر و الذي يغلب عليه الطابع الأندلسي الجزائري، إذ أن جل زخارف المسجد استلهمت من زخارف قصر الحمراء بالجزائر. وقدم عبد المالك موساوي كتاب يحتوي على 320 صفحة مدعم بالصور الزخرفية، تحت عنوان "جامع الجزائر...صفحات مشرقة من روائع الزخرفة الإسلامية في الجزائر". (موساوي، ريبورتاج "مصمم زخارف المسجد الأعظم الجزائر"، 2020)

5.التعريف بجامع الجزائر الأعظم:

جامع الجزائر هو مشروع معماري وتحفة فنية و صرح ديني بارز في العالم العربي و الإسلامي ، كيف لا و هو أكبر مسجد في القارة الإفريقية، وحوض البحر المتوسط، و ثالث أكبر مساجد العالم بعد الحرمين الشريفين. مشروع جامع الجزائر شيد في مكان استراتيجي، بحي المحمدية بالجزائر العاصمة، على مساحة إجمالية مقدرة بثلاثين هكتارا، فيما خصصت 377 ألف متر مربع للمسجد فقط بدون المرافق الأخرى، بحيث يحتوي الجامع على 12 مبنى منجز وفق أحدث التقنيات، وهو مقاوم للزلازل التي تصل شدتها إلى 9 درجات على سلم رشتير، وقد بنيت قاعة الصلاة على مساحة إجمالية مقدرة ب 22 ألف متر مربع تتسع ل 36 ألف مصلي ، فيما تستوعب ساحة المسجد 120 ألف من المصلين، و بخصوص الزرابي فإن الجامع يفترش أفخم أنواع السجاد ذات جودة عالية وصنعت محليا، كلها ترمز إلى مناطق الجزائر .

زينت قاعة الصلاة بأكبر ثرية في العالم حيث يبلغ قطرها 12 مترا، وتزن 9 أطنان و نصف، وتحتوي على أكثر من 350 ألف بلورة كريستال من أفخم الأنواع الموجودة في العالم ، صنعت بين الصين و النمسا، وكان تصميمها جزائريا، أما المنبر فهو الآخر صنع بأيادي محلية و بزخرفة أيادي جزائرية. وقد زخرف الجامع بآيات قرآنية تمتد على طول ستة كيلومترات داخليا و خارجيا .

و لعل ما يميز جامع الجزائر هي منارته التي تعد الأكبر في العالم، و التي يصل علوها إلى 265 مترا، بحيث تحتوي على 43 طابقا، خصص 15 طابق منها لبناء متحف، و 10 طوابق خصصت كمركز بحث، كما ستكون أيضا منارة للسفن.

قبة الجامع قطرها 50 مترا، وارتفاعها 70 مترا مزينة بأجمل الزخارف الهندسية بلونها الذهبي. يتوفر الجامع على دار للقرآن الكريم، التي تضم بدورها معهدا عالي لدراسات الدكتوراه، يتسع ل 300 طالب ، ومكتبة ذات مليون كتاب، و متحف للفن و التاريخ الإسلامي، وهو مركز أبحاث حول تاريخ الجزائر ، بالإضافة إلى قاعة للمؤتمرات والمحاضرات و المعارض بالإضافة إلى المركز الثقافي .كما لم يتم إهمال الجانب البيئي، فقد خصصت مساحة منه للأشجار.

وقد صرح المهندس عبد المالك موساوي على قناة النهار بأن الهندسة المعمارية لجامع الجزائر تركزت على عنصر المربع ، إذ أن الجامع ككل عبارة عن أربع مربعات الواحد تلو الآخر ، فالمربع الأول يشمل قاعة الصلاة، أما المربع الثاني فيشمل الصحن، و المربعين الثالث و الرابع يشملان الفناءين الأول والثاني. بحيث يعد المربع انطلاقة لزخرفة المسلم المغربي الأندلسي، إذ أن زخارف المسجد الأعظم مأخوذة و مستنبطة من الطراز الجزائري المحض، بالإضافة إلى زخارف مأخوذة من قصر الحمراء الذي غلب عليه الطابع الأندلسي. إذ شملت كل من الزخرفة الهندسية، والزخرفة النباتية، والزخرفة الخطية، وكل الزخارف الموجودة في جامع الجزائر إلا و تخفي وراءها رمزية أو دلالة أو قصة تاريخية من حضارة الجزائر التي امتدت من القرن السابع إلى القرن الثامن عشر، ناهيك عن قواعد الجمال المستخدمة كالرقم الذهبي، ومتتالية فيبوناتشي، وعدة قواعد علمية حسابية. (موساوي، إختيار جامع الجزائر الأعظم من بين أفضل التصاميم المعمارية الدولية 2021، 2021)

6. التصميم البنائي للجامع الأعظم:

يعتبر الجامع الأعظم بالجزائر على غرار كونه الأكبر قاريا، معلما سياحيا و فنيا من حيث جمال تصميمه الهندسي الذي جمع بين البساطة و الجمال، فقد كان تصميمه الكلي مبني على نموذج المربع، و الذي اعتبر لغزا فنيا ألا وهو خاصية المربع الذي صمم بها الجامع، فقد شمل التصميم ككل للمسجد أربع مربعات متموضعة الواحد تلو الآخر بشكل فني و المتمثلة في قاعة الصلاة كمربع أول ثم الصحن مربع ثاني، و الفناء الأول مربع الشكل بالإضافة إلى الفناء الثاني عبارة عن مربع، حتى المئذنة أخذت شكل المربع .

و هذه الخاصية في التصميم كان لها دلالات كثيرة من بينها كون المربع يعد العنصر الأساسي في الزخرفة الأندلسية بالإضافة إلى الكعبة المشرفة مربعة الشكل، و الأشهر الحرم كونها أربعة أشهر، و الجهات الأربع شمال، جنوب، شرق، غرب، و غيرها من الرمزيات الموجودة في العمارة الإسلامية. (موساوي، إختيار جامع الجزائر الأعظم من بين أفضل التصاميم المعمارية الدولية 2021، 2021)

و يتشكل تصميم المسجد بداية من قاعة الصلاة بشكلها المربع و التي يتزين شكلها بطابقين مربعين يأتي الطابق الأول ثم بعده طابق أصغر في المساحة بالنسبة للطابق الأول ، ليتزين في الأخير بقبة يبلغ قطرها 50 مترا و علوها 70 مترا، وهي تتوسط قاعة الصلاة مرصعة بالأصفر والفسيفساء الإسلامية المغاربية، بحيث تحتوي قاعة الصلاة على فضاء للنساء، وفضاء خاص بالإمام موجود مقابل المدخل الرئيسي للمسجد وتتكون القاعة ككل من قاعة استقبال الشخصيات، القاعة الشرفية، مقصورة الإمام، المحراب والذي يشير إلى جهة مكة، والمنبر.

ثم تأتي مساحة خارجية وهي امتداد لقاعة الصلاة كفناء أول تأخذ شكل المربع الثاني، والذي يضم إليها قاعة الوضوء المخصصة للرجال وأخرى للنساء، وقاعة المطالعة، وقاعة متعددة الاستخدامات مع مداخل مستقلة.

ثم يأتي الفناء الثاني بشكله المربع أيضا والذي تظهر منه أكبر منارة في العالم، و هي مئذنة المسجد الأعظم و التي تتشكل من 43 طابق على طول 265 متر، بحيث تتكون من فضاء استقبال يمكنه احتضان معارض وتظاهرات ثقافية، متحف للفنون و التاريخ الإسلامي يمتد على 15 طابق، مركز للأبحاث في تاريخ الجزائر، فضاءات للتجارة والإطعام ، و ينتهي بشرفة مشاهدة تطل على حوض الجزائر ومحيطه.

كما يضم المسجد دار القرآن و هي عبارة عن مدرسة عليا، تتكون من قاعات تدريس، قاعة معلوماتية، قاعة محاضرات، غرف إيواء و ملحق للتسيير و الإدارة.

بالإضافة إلى المركز الثقافي الذي يمتد على مساحة 8000م² والذي يشمل رواق مخصص للمعارض، مكتبة تتسع ل 6000 شخص، فضاء معلوماتية، قاعة عرض فيديو، قاعة عرض الأفلام، قاعات محاضرات، ورشات فنية، قطب إعلام آلي، مقهى ومقر الإدارة لتسيير المركز الثقافي.

وكذلك يظم جامع الجزائر حظيرة للسيارات بثلاث طوابق تحت الأرض لتسع 6000 سيارة، ومدخل يشمل مساحات خضراء مهيأة على امتداد 2000م² ، بالإضافة إلى حدائق مساحتها تقارب حوالي 1000م² ، و أيضا مطاعم و مقاهي، و ورشات ومحلات مخصصة للحرف التقليدية، المحطة التقنية، مقر الإدارة العامة، سكنات وظيفية، مركز المراقبة الخاص بالحماية المدنية، و البناية الخاصة بالأمن ومسالك العبور. (مغلاوي، 2018)

وما يجعل المسجد تحفة فنية هو التصميم الدقيق و تموضع جميع هذه المرافق الضخمة بشكل مرتب ومتناسق، بالإضافة إلى الزخارف التي حظرت في جل مرافقه بداية من التصميم المبسط وصولاً إلى التصاميم الزخرفية المعقدة.

7. دراسة وصفية لزخارف الجامع الأعظم بالجزائر:

تميزت زخارف المسجد الأعظم بالطابع الجزائري الأندلسي ، وكل الزخارف الإسلامية، تشكلت زخرفة الجامع انطلاقاً من ثلاث أنواع زخرفية، والمتمثلة في الزخرفة الهندسية و الزخرفة النباتية، بالإضافة إلى الزخرفة الخطية وقد تجلت هذه الزخارف في أغلب مرافق الجامع بداية بالزخارف الهندسية البسيطة إلى الزخارف النباتية المعقدة باختلاف الوحدات الزخرفية المستخدمة من عناصر نباتية و هندسية و كتابية، بحيث تم تركيب هذه العناصر الزخرفية مع بعضها البعض بالاعتماد على قواعد الجمال المختلفة الفنية و العلمية كاعتماد الرقم الذهبي الذي يعتمد على عملية حسابية رياضية .

وباعتبار جامع الجزائر صرح كبير فإنه يحتوي على عدد لا محدود من الوحدات الزخرفية، بحيث لا يسعنا دراستها ككل بصفة دقيقة و مفصلة، لهذا اقتصرنا على ذكر زخارف أبرز المرافق من خلال وصف زخارف :

•المحراب

•المنبر

•القبة

•المئذنة

1.7. المحراب:

بالنسبة لداخل المحراب، الجزء السفلي خالي من الزخارف، أما الجزء العلوي فهو مزين بخمس شمسيات منقوشة على الرخام، متموضعة بشكل شريط أفقي جنب بعضها البعض ، بحيث تختلف بالتناوب بين زخرفة هندسية وزخرفة خطية، إذ يتكون هذا الشريط من شمسيتين نباتيتين و ثلاث شمسيات هندسية.(الصورة 01)



الصورة 01: داخل محراب الجامع الأعظم

بالنسبة للهندسية فهي تتشكل من زخرفة هندسية أساسها النجمة ذات 16 رأس في المركز، تتفرع منها خطوط لتشكل منها نجمات ذات 8 رؤوس تظهر أصغر من النجمة المركزية، و باللون الأخضر، أما باقي التفرعات فهي باللون الأبيض.

أما النباتية فهي تشكل من تفرعات شريطية نباتية تتداخل فيما بينها بشكل معقد بالتقاطع و التناظر، كما تتصل هذه الشمسيات الخمس فيما بينها بواسطة شريط هندسي أساسه خطين مظفرين بالإضافة إلى الزخرفة النباتية التي تظهر فوق الشمسيات.

أيضا تم زخرفة سورة الفاتحة بشكل شريط أسفل الشمسيات يحوط المحراب من الداخل ، استخدم في كتابته الخط المغربي المبسوط.

وقد زين سقف المحراب من الداخل بمقرنصات أندلسية بلونها الأبيض بشكل غائر متقابلة أفقيا انطلاقا من شكل ثماني الأضلاع لتتعمق نحو مركز السقف و تتقارب من بعضها إلى أن تنتهي بنجمة ذات 16 رأس. حتى الثريا التي بداخل المحراب تأخذ شكل نجمي ، متكونة من أربع نجمات ذات 8 رؤوس بشكل تدريجي من الأكبر إلى الأصغر مزينة بزخارف نباتية ، تتدلى من خلال السقف المقرنص.

2.7. المنبر:

يعد منبر الجامع الأعظم تحفة فنية إبداعية بداية من التصميم البنائي بحجمه الكبير بحيث يبلغ ارتفاعه 7.5 متر، و بطول 7 أمتار أما العرض مترين، وصولا للزخارف المنقوشة عليه، و قد صنع على أيادي محلية جزائرية بحيث استعمل في تزيينه عناصر زخرفية خطية و أخرى هندسية، بالإضافة إلى النباتية، و التي غلب عليها الطراز الإسلامي الأندلسي.

يبلغ عدد القطع المكونة للمنبر أكثر من 5000 قطعة مجمعة بشكل فني مدروس، بحيث تم زخرفة كل قطعة على حدة، و وضعها في مكانها المناسب، بحيث تم استعمال جذع شجر السنديان (خشب البلوط القوي) كمادة أولية، فضلا عن الصدف الطبيعي.

زخرف جانبي المنبر بزخرفة تكونت أساسا من نوعين اثنين، زخرفة هندسية بسيطة تتخللها زخارف نباتية معقدة، تتشكل الزخرفة الهندسية انطلاقا من نجمات ذات 8 رؤوس مرتبطة مع بعضها البعض بواسطة خطوط لتظهر بشكل النجمات كمركز تناظر لهذه الأشكال، ترتبط هذه الوحدات مع بعضها البعض في نقطة مربعة الشكل. وقد تشكلت هذه الخطوط الزخرفية الهندسية بخطوط شريطية بيضاء، تتخلل هذه الخطوط زخرفة نباتية على شكل فروع و أوراق. (الصورة 02)

أما الزخارف النباتية التي احتوتها الأشكال الهندسية فتكونت أساسا من نخيلات و ثمار مرتبطة فيما بينها بواسطة فروع متقاطعة بشكل بارز عن السطح و بلون المحراب البني، بحيث تباينت الأشكال الهندسية عن النباتية باللون الأبيض.

كما تتشكل مقدمة المنبر من جزئين تقريبا، الجزء السفلي عبارة عن عمودين مزخرفين بزخرفة هندسية بسيطة، تتخللها زخرفة نباتية معقدة، أما بالنسبة للتفاصيل الزخرفية فهي نفس الزخرفة الموجودة على جانبي المنبر. (الصورة 02)



الصورة 02: شكل جانبي لمنبر الجامع الأعظم

3.7. القبة:

يحتوي جامع الجزائر على قبة يبلغ قطرها 50 مترا تتوسط قاعدة الصلاة تمازج فيها الوصف الوظيفي و الجمالي ، فهي مكونة من غلاف داخلي و خارجي، فمن الداخل هي قراءة عصرية لقبة المقرنصات التقليدية

المستمدة من المعمار الإسلامي، تسمح بتعاقب المساحات المسطحة و الدائرية ومن الخارج علقت القبة بمصفقات مشربية تزيينه، تبرز الوجه الداخلي للقبة وفق الهندسة التقليدية وهي ذات جدارين يحتويان على فتحات تسمح بمرور الضوء الطبيعي إلى قاعة الصلاة بحيث تظهر من الداخل بتصميم هندسي يأخذ شكل نجمة ثمانية محددة من أربع رؤوس بيئية. (الصورة 03)



الصورة 04: الشكل الداخلي لقبة الجامع الأعظم

تظهر القبة بلونها الذهبي يحيط بها شريط أزرق من الأسفل متشكل من الفسيفساء الأندلسية. يحيط بها سياج زخرفي باللون الذهبي، عبارة عن زخرفة هندسية مشكلة من وحدات نباتية على شكل شجيرات استخدم فيها التناظر الهندسي، كما تظهر زخرفة ضمنية كخلفية للسياج، في الجزء السفلي زخرفة هندسية عبارة عن شرائط متناظرة و متقاطعة بشكل منتظم لتشكل شبكة زخرفيه، تحتوي على مربعين صغيرين متناظرين بالنسبة لنقاط التقاطع. (الصورة 04)

و يظهر على القبة هلال ضخم ذهبي اللون ، يتشكل فوق عمود يتكون من ثلاثة كرات متموضعة فوق بعضها البعض بداية من الكبيرة إلى الصغيرة.

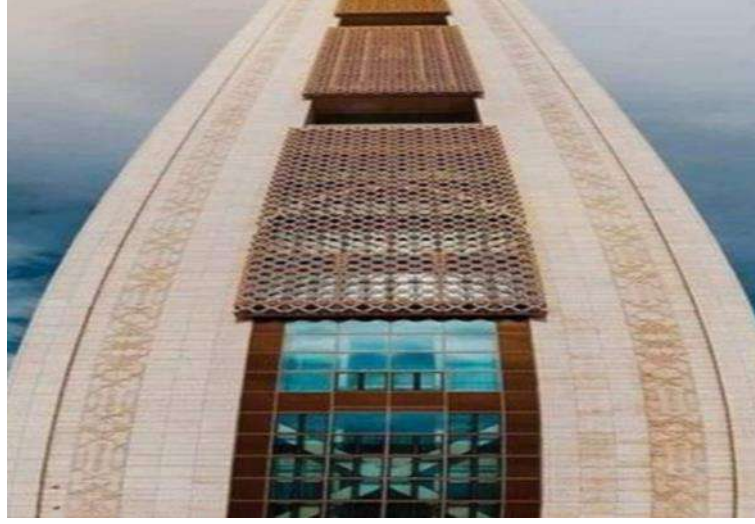


الصورة 04: الشكل الخارجي لقبة الجامع الأعظم

4.7. المئذنة:

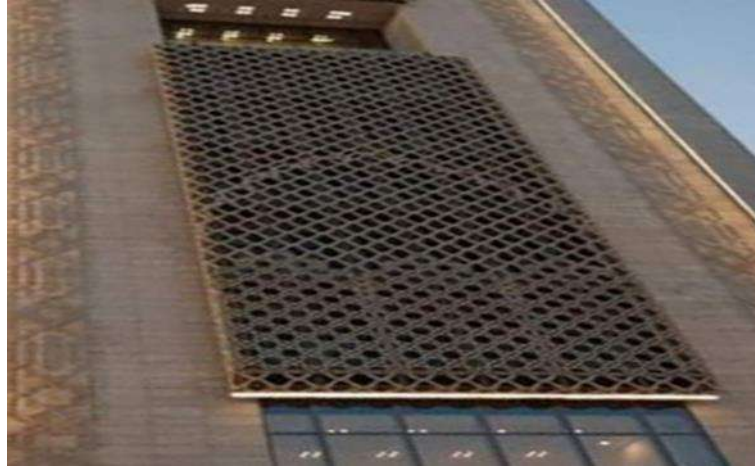
يتميز مسجد الجزائر الأعظم بأطول مئذنة في العالم، إذ يبلغ طولها 256 متر، ودعائم بعق 60 متر، و تتشكل المئذنة من 43 طابقا علويا و طابقين أرضيين، وقد خصص 15 منها كفضاء لاحتضان متحف يخصص تاريخ الجزائر و 10 طوابق أخرى كمراكز للبحوث، بالإضافة إلى الصومعة و المحلات التجارية، كما تم وضع في قمة الصومعة منظر يمكن الزوار من الاستمتاع بجمال خليج الجزائر العاصمة، كما تعتبر هذه المئذنة منارة للسفن.

بنيت جدران المئذنة بتطبيق الوظيفتين الجمالية و النفعية، بحيث يظهر الجدار مبني من الأطراف بالخرسانة المسلحة و ملبس بالجص الحديث، ويتوسطها مساحة من الزجاج العاتم على طول المئذنة، بحيث تسمح بدخول الضوء إلى الداخل، و يسمح بالنظر خارج المئذنة، وفي القمة منارة عبارة عن غرفة كبيرة مكتسية بالزجاج العاتم. أما بالنسبة للزخارف فقد زخرفت المئذنة من جانبي الجدران الأربعة، بشريط زخرفي هندسي أساسه النجمة السليمانية ذات 8 رؤوس، بحيث تظهر النجمات متتابعة واحدة تلو الأخرى، تظهر بين كل نجمة و نجمة سداسي أضلاع تتخلله زخارف نباتية ترتبط مع بعضها البعض بواسطة خطوط هندسية على طول المئذنة. (الصورة 05)



الصورة 05: واجهة مئذنة الجامع الأعظم

وقد زينت المساحة الزجاجية التي تتوسط المئذنة بخمس مستطيلات عبارة عن سياج معدني مصمم بشكل شبكة و قد توضع متتابعة بشكل عمودي على جدران المئذنة الأربعة، بحيث يتخلل كل سياج زخرفة هندسية بسيطة لتظهر أشكال دينية إسلامية تتعلق بالمساجد. (الصورة 06)



الصورة 06: السياج الذي يزين واجهة مئذنة الجامع الأعظم

بالنسبة للسياج الأول يظهر تصميم مسجد من ثلاث أبواب تعلوه قبة مقوسة، أما السياج الثاني فيأخذ تصميم لسجادة صلاة يتضمنها مستطيل بداخله مستطيل أصغر بشكل زخرفي هندسي، أما السياج الثالث فيحتوي على تصميم لعقد بصلي يتخلله تصميم لمصحف القرآن الكريم.

وبالنسبة للسياج الرابع فيظم نفس تصميم سجادة الصلاة الموجودة على مستوى السياج الثاني. و يظهر السياج الخامس و الأخير في أعلى الصومعة، بحيث تتخلله تصميم زخرفي عبارة عن عقد دائري مزخرف بالكامل.

8. خاتمة:

تعد الزخرفة سجل لمراحل تطور الإبداع الإنساني في مجال الجمال، هذا الجمال الذي ازداد بريقا ولمعانا، بما أضيف إليه من خصائص فنية اصطبغت بروح الإسلام، تلك الروح التي جمعت حضارات مختلفة استجمعت في ظل الإسلام فأعطت إنتاجا فنيا رائعا، كان دائما قادرا على مضاهاة غيره من الفنون، كما يمكننا القول أن الفن الإسلامي قائم على فكرة الفن الزخرفي.

فمن خلال هذا البحث نستنتج ما يلي:

- 1/التصميم هو أساس العمل الفني وخاصة الزخرفة، بسيطة كانت أو معقدة.
- 2/طغيان الزخرفة الإسلامية في تزيين العماائر الدينية خاصة المساجد (المسجد الأعظم بالجزائر).
- 3/تقوم الزخرفة الإسلامية أساسا على الأشكال الهندسية و النباتية و الخطية، بالاعتماد على التناسق و الانسجام، تم تتوزع العناصر الزخرفية بحسب الحيز الذي يلائمها.
- 4/الاعتماد على مختلف الخامات الحديثة في زخرفة المسجد الأعظم من رخام، وخشب، وجص، وزجاج، ومعادن و غيرها .
- 5/تعتبر عملية النقش من أبرز التقنيات التي استخدمت في تنفيذ زخارف جامع الجزائر الأعظم.
- 6/أصالة الزخارف بالجامع التي غلب عليها الطراز الجزائري الأندلسي و المستمدة تقريبا من قصر الحمراء بالجزائر.
- 7/الوحدات الزخرفية هي الأساس المكون للتصميم الزخرفي.
- 8/كل وحدة زخرفية إسلامية هي مستوحاة من الطبيعة وتتنوع بتنوع الأشكال المكونة منها.
- 9/تتميز الزخرفة الإسلامية بالمرونة و مناسبتها لأي تصميم.
- 10/النقطة و الخط عنصرين أساسيين في بناء العمل الفني.
- 11/التبسيط و التجريد و التحوير كان واضحا أمام الفنان المسلم.
- 12/رؤية الفنان المسلم لمفهوم الزخارف اشتملت على أمرين أساسيين، العناصر المستخدمة في البناء التشكيلي مأخوذة من عناصر الطبيعة، والرؤية الهندسية في الجانب الزخرفي كانت سمة مميزة للفن.

الهوامش:

- ابن منظور. (1119م). لسان العرب. القاهرة: دار المعارف.
- أبو ريان محمد علي. (1974). فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجمالية. القاهرة: دار المعارف.
- أبو ريان، محمد علي. (1974). فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجمالية. القاهرة: دار المعارف.
- إياد صقر. (2003). الفنون الإسلامية (المجلد 1). الأردن: دار مجد لاوي للنشر و التوزيع.
- بشير خلف. (2009). الفنون لغة الوجدان. عين مليلة الجزائر: دار الهدى.
- حسين مؤنس. (1978). المساجد. الكويت: سلسلة عالم المعرفة.
- سالم، محمد عزيز نظمي. (1969). القيم الجمالية. الاسكندرية: دار المعارف.
- ضياء زاهر. (1984). القيم العملية التربوية. عين الشمس: مؤسسة الخليج العربي.
- عاصم محمد رزق. (2000). معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية (المجلد 1). القاهرة: مكتبة مدبولي.
- عبد المالك موساوي. (2020, 08 15). ريبورتاج "مصمم زخارف المسجد الأعظم الجزائر". (أبو بكر منصوري، المحاور) تم الاسترداد من <https://www.youtube.com/watch?v=Srijy1mWFqA>
- عبد المالك موساوي. (2021, 12 2). إختيار جامع الجزائر الأعظم من بين أفضل التصاميم المعمارية الدولية 2021. (ماجدة بلعربية، المحاور) تم الاسترداد من https://www.youtube.com/watch?v=o8x6f9O_JhA
- عمر محمد الشحات. (2014, 11). نشأة الزخارف وتطورها في العمارة الإسلامية. مجلة أبو الهول، 107.
- محمد مغلاوي (المخرج). (2018). شاهد جامع الجزائر الأعظم + معلومات مفصلة عن المسجد [فيلم سينمائي]. تم الاسترداد من <https://www.youtube.com/watch?v=Bvg5hi1vTXk>
- محمود السعدي. (1991). معجم عربي ألفبائي. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

